الدلالـــة اللغويّـــة

عمر شاع الدين

السودان





إنَّ الكلمة ليست هي الفاصلة النهائية (الأخيرة) في الدلالة، فهناك تفرعات صوتية صغيرة داخلها، هي البداية (السليقية) للمعاني، وهذا ما يفرضه منطق التطور الدلالي، وما تؤيده الثنائية.

إنَّ منطق التغير الدلالي سواء في الزمن أو البيئة (التحول) يجعلنا نقبل كثيراً جعل الأثل المشترك السامي الأول ثنائياً أو ما دون ذلك، فما اتفق في ثنائيته يمكن حسبه من المشترك فيهما. هذا يتيح مساحة مقبولة (للتحول) وللتأثير عبر الزمن. ثم نحسب أنَّنا بهذا ربما لا نحتاج كثيراً للاستعانة بالدلالات السياقية التي تفسح اعتبارات لملكات البلاغة ومنعطفات وسائل الإيضاح للمعنى.

إنَّ الاتفاق على التحليل يقودنا لعنصر اللغة (الأثل) الذي لا يخرج عن دائرة الرموز التي تنجم بالإحساس البسيط، ومن ثمة يقودنا هذا التحليل لحدود التعريف.

ولذا نحسب أنَّ حدود المعنى في اللفظة نسبية، وذلك لتمددها، وقد ذهب الدكتور زكي نجيب محمود إلى أنَّ الكلمات التي تدل على مسميات محسوسة مثل كلمة أحمر لا يمكن أنْ يكون هناك خلاف حول مدلولها طالما هناك اتفاق بين العلماء على معناها[1].

هو بهذا يضع (أحمر) في دائرة المصطلح العلمي، مثل الأعداد، فالثمانية لا نستطيع بحال أنْ نجعلها تزيد أو تنقص ولو قليلاً عما تعورف عليه قدرها (حدّ) ومن ثمة لا نستطيع لغوياً استخلاص الرأي الخالص الذي نعرف به كيفية بلوغها هذا الحدّ.

(١) انظر: نحو فلسفة علميّة: زكي نجيب محمود: ١٣.

لكنّا في (أحمر) لا نستطيع حرمان جهد التحليل من نتائج يبدو احتمالها أو قبولها، تُرينا قدراً من الاتساع في المفردة محسوسة المعنى، وذلك لما يحمله اللفظ من ذرات معاني أولية، ويتم لنا هذا بالمراجعة المعجمية الثنائية.

حمر = (حم+ر). فانتقال (حمّ) بما تحمله من معاني النار والحرارة يؤسس للعلاقة الوثيقة التي ينجم أثرها ويطلب موقعاً يقع عليه، مثل الماء: (العين الحارة الماء) وعندي أن انتقال الحرارة جاء للقرب من (الموقع). وهذا يدفعني لجعل معنى قَرُب في: حُمَّ الشيء، سابقاً، وكذا: الأحم: الأقرب، والحميم القريب. ربما يراد بالقرب تحديداً من موقع الشمس كبداية معهودة بالعبادة[1] عند قوم ضلوا ثم لعل معنى السواد في حمّ يأتي بأثر الشمس (قريب)، وهذا الأثر بتفاوته ربما لا يصل درجة اللزوم، ما دام: (الشمس= نور= بياض): (بعيد). وبهذا نجد تبريراً مقبولاً كذا أنّ: الأحمّ من الأضداد للسواد والبياض، ذلك بضدّية (قريب= بعيد). نرى بهذا من ثَمة أنَّ التحديد المراد بالاستحمام لغة كان بداية بالماء الساخن ثم اتسع المعنى لغيره. وبهذا نرى أنَّ المحتوم أنْ يكون المراد بمعنى (حمر) كان بداية معنى السخونة زائداً معنى اللون الذي نراه لصيقاً بالشمس والنار انظر: (الحرّة: الأرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار). هذا مدخل آخر: حمر= (ح+ر) +(م).

إنَّ التحليل هنا يرينا أنَّ (حمر) تحمل في ذراتها معاني لا يمكن إغفالها في المسعى الدلالي هي موجودة في طيات تاريخها، فالتوظيف الدلالي يحتم مراعاة: معنى السخونة+ اللون في الدائرة.

ثم نرى أننّا نفلح كثيراً في استخلاص فكرة تاريخية بالتحليل الدلالي، نعرف

(١) حمّ: قرب من المعبود (الشمس). أحادية الحميم: القرب من المعبود يتيح لي هذا أن أجعل (ح) في أحاديّة اللغة بداية بمعنى سخن رمزاً للشمس ـ للمقارنة انظر: في لغة الأطفال: حيّا: للتحذير من النار.



بها قدر ما انتهت إليه حضارة الناطقين، نحصل على هذا بتجريد اللفظة، ومعرفة العلاقة بين ذراتها.

إنَّ ما وصل إليه الشيخ عبدالله العلايلي في المقدمة يشكل عندي أضخم جهود علماء العربية لمعرفة الأثل اللغوي، ونعتبر جدوله فتحاً يذهب باللغة للفكر الذي يبرر التطور. إنّ معطيات العلايلي قد أسدت لدرس اللغة منهجاً جديداً سهل مسلك المشتغلين باللغة وأزاح كثيراً من غلالات الغموض التي أسدلت على جسم اللغة. فالمسعى القديم لدرس تطور الدلالة عبر النقد وشروح الشعر والنثر، لا يجعلنا في يقين بنتائجه، هذا مع تأكدنا أنّه لا يخلو من دفعات نحو ذلك اليقين.

إنّ ابن جنى وقد بدأ المسعى، استطاع بجهوده في درس بنية المفردة أنْ يحصل على نتيجة طيبة، هي التي فتحت المغاليق وسهلت للعلايلي كثيراً أنْ يصل إلى ما وصل إليه.

لقد فطن ابن جني في الخصائص إلى أن وحدة المعنى هي ما يجمع التقلبات ومن ثمة رجح وجود علاقة بين الصوت والمدلول. قد سلك منهج الاستقراء للمفردات عبر تطورها الزمني، وكانت النتيجة، أنّ اللغة نشأت في أوقات متلاحقة، وفي بنيات وبيئات متباعدة، ولذا نستطيع أنْ نرجح شكنا في نظرية (أسرة اللغات السامية) فنظام العربية يختلف عن غيره، ويتصف بتفرد لا تعرفه الساميات، ثم في هذا إغفال لحقيقة تطور اللغة بتطور نمط الحياة. ولكنا نرى لو كان محتوماً أنْ نجعله في البدايات الأحادية والثنائية.

في منحى التحليل الدلالي لابدّ من مراعاة الترتيب التاريخي للمعاني، الذي يخضع لمنطق البداءات والضرورة، فوجود معنيين لمفردة واحدة يحتم: أنّ أحد المعنيين سابق، ثم يحتم أن المعاني (المادّية) المحسوسة: أسبق من معاني الذهن. فمفردة (شكر) معناها: مقابلة النعمة بالقول، وهو معنى رفيع في أخلاقيته، لا



يناسب منطق الغلب الأول. وهذا يدفعنا للبحث عن معنى نطمئن لسبقه في مجمل معاني الكلمة، ولا نلبث أنْ نعثر على معنى يناسب بيئة الحياة العربية الأولى (الرعي): شكرت الإبل تشكر: إذا أصابت مرعى فسمنت عليه [1] وهو معنى يتولد عنه مثل: الحمد ومقابلة النعمة، فسمنها عليه هو حمدٌ له أو ارتضاءٌ به. فالمقابلة هنا بين الشكر القول، والشكر الفعل، ولذا لا نجد مشقة في تغليب المعنى المحسوس على الذهني.

وفي حالات نرى ضرورة تغليب معنى محسوس على محسوس، مثل: الدُّعاع: بقلة يستخرج منها حب أسود، والدُّعاعة نملة سوداء شبهت بتلك الحبه.[2] هنا نحار في ترجيح تشبيه الحبة بالنملة أو تشبيه النملة بالحبة، فوجود أسماء أخرى للنملة السوداء وعدم وجود أسماء للحبة يجعل اسمها أصلاً، ويدفعنا لقبول الرأي الأخير، بينما الأول يرينا أنّ العناية في المعنى تذهب للنملة وهو أمر مقبول كذا.

في حالة أخرى: نقلت لنا المعاجم أن النُّكع: اللون الأحمر[3] ونرى أن منطق التطور الدلالي يفرض حداثة هذا المعنى، وبتقليب المعاني: ثمر أحمر، صمغة القتاد، ثم كذا وبوضوح أكثر معنى: الضرب: ضربه بظهر قدمه، ضرب ضرع الماشية لتدرّ، وفي قولهم: أين نكع: أين ذهب. ونرى العلاقة ما بين معنى الضرب والذهاب في مثل قولنا: ضرب في الأرض: ذهب، وصعق في الأرض: ذهب.

ثم في معاني: رد، دفع، صرف، أسكت، شرب فأنكعه: نغض عليه: نرى اعتباراً للمعنى الأثل (ضرب).

(١) اللسان: ٦/ ٩٢.

(٢) اللسان: ٩/ ٤٤٠.

(٣) اللسان: مادة ن ك ع.



ربما إن معنى (صمغة القتاد) يجد دلالة أولى في معنى الضرب، ربما لوسيلة جنيها بالضرب، وربما للونها الأحمر، وهذا يجعلنا نبحث عن مدخل للحمرة في معاني اللفظة، ولا نعثر على شيء نتيقن منه، ولكنا نرجح أخيراً أنه ربما كان لمعنى الضربة بظهر القدم (أثر أحمر). وربما جاء من ضربة الصمغة (الحمراء) فاكتسب فعل الضرب صفة الحمرة من صفة المضروب.

في المثل الذي سقناه (صقع) وجدنا: الصقعة: بياض في وسط رؤوس الخيل، والذي نراه أن اللون جاء عن معنى ضرب الرأس خاصة، فاعتبار الرأس مرهون بمعنى الضرب، وهذا ما نجده في (الصقيع): الجليد لأنه يضرب الرؤوس (الجبال) فتصبح (بيضاء) ومن هذه الصورة يجيء اسم العمامة: (الصوقعة). ويجيء معنى: (الصقع): ذهاب الشعر في الرأس، فهو صورة ذهاب سواده وبقاء بياض الجلد.

لهذا نذهب لجعل معنى الضرب أصل المعاني في (صقع) ونرجح أنه جاء من صوت الفعل(صع) ثم تحدد بموضع الرأس بزيادة القاف، مثلما تحدد في (صفع) بضرب القفا والكف مبسوطة بزيادة الفاء، ثم انظرالضرب في (صمع).

وعندى أن (صنع) لا تخلو من هذا المعنى، فقد كانت صناعة الشيء تعتمد على ضربه، انظر مثل قولنا في النقود: ضربت في كذا، ما يفيد معنى صنعت، ونرجح كذا أن في (صنع: صرع) شيء من الضرب.

إننا بهذا نصل لاعتبار أن اللغة بدأت بالمعاني (المادية) في تاريخها الطويل. وهذا يجعل التفاوت داخل ماديتها يتدرج حسب الضرورة الأولى، فاللون مادة ولكن اعتباريته ليست كالطعام مثلاً. وهذا يدفعنا لجعل مفردات الألوان تجيء مرحلة ثانية لا تجد حيزاً في الثنائي، فمساحة الثنائي الصوتية (استهلكتها) الضرورات. وهكذا كانت اللغة استجابة لهذه الضرورة.



نرى أنّ من المهم الإشـارة إلى أنَّ استجـابة (فوق الثنائي) نرجح أنَّهـا لم تكن مواضعة اعتباطيّة، جاءت، عفو خاطر، فهناك مؤشرات ترينا قدر التعادل الفكري بين الدال والمدلول ثم قدر الإضافة يحتم وجود إضافة أخرى فوق الأثل، وهذا ما يتدرج بتدرج الأشياء ثم هذا يعني ترجيح اعتباطيّة الثنائي:(١)

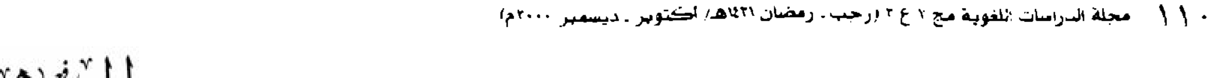
حمّ: لون: غير اعتـباطيّة، لأنّ دلالتها مبنية عـلى مدلول سابق (حمّ: سخن) وتجد (الحُمرة) معنـاها لصيقاً بمعنى (سخن)، فالدلالة الجديدة تساعـدنا في معرفة الأثل ثم معرفة الدال المتطور.

في الأثل: غمّ، نجد معنى الستر، وهنا نفـترض أنّ كل تفرعات هذا الأثل تجد حظاً من معنى الغطاء، انظر: غمر، غمت، غمد، غمض، غمط، غمل، غمن، غمو، فكل هذه الألفـاظ تعني: ستر وغطى. إنّ هذا الاتفاق يجعلنا نعـتمد الأثل (غمّ) ونحتم منه ثمّة وجـود معنى الستر في كل تطورات الدال، فغـمص النعمة: لم يشكرها، يعني كـفرها، وهو معنى السـتر، والغمص: مـا سال من وسخ في العين، وهذا يقلل قدرة رؤيتها أو يحجبها، فالوسخ يستر الرؤية.

في مادة (غمجر) نـرى المعنى الأثل (غمّ) ونرى (+ ر= غمر) وهو معنى غطى كذا، ثم نرى: (+ ج ر= غـمجر): جـاد المطر الروضة حـتى غمجـرها: ملأها. ونعلم معنى الغطاء هنا (حتى غطاها).

إنّ مما يرجح عـدم جعـلنا الأصل: (غمج) هـو أنّ معناه لا يجـد سـبيـلاً في (غطى=سـتـر) انظر: (غمج= جرع). فالثـلاثي: (غمر) هو الأصل في (غمـجر) لتسلسل الدلالة وبهذا نحصل على: (غمر+ج)= غمجر= غطى، ملأ.

(١) مبدأ الاعتباط هنا نسـبي، إذ نعوّل على قيام بناء الثنائية بزيادة على الأحادية، ما يقرّه معنى التطور اللفظي والدلالي هنا وينجم الصراع حـول أيهما أسبق (ح) أم (م) وهو أمـر يطول ولكن المهم هو أننا نبني رأينا على فرضية أن الجدول الهجائي كان هو البداية للغة الإنسـان الأول.





ثم للتيقن نذهب مذهباً آخر، نبـحث عن (+ج) ونفترضه (+د) مثلاً، فنحصل على (غمدر) ونجد ما يزيد تيقننا في المعنى: ممتلئ سِمْناً وهو معنى يحمل (غطى) كأنما غطى السمنُ جسمه (ملأ= غطى). وهذا يؤكد أنّ الراء أصل. هذا مع وجود معنى الغطاء في (غـمد) مما يتيح جعل الدال أصـلاً كذا، ولكنّا لاعتبـار (غمذر) الممتلئ سمناً كالغميدر نرى أنّ الراء الأصـل، ما دامت لم تنحرف معانيها، ثم لم تتغير ذلك أن (عمذ) لا تعطينا معنى الستر الذي وجدناه في (غمد) ثم نجد صورة ترجح هذا في لفظة أخرى: (طم= غمر).

التوافق: غمّ= طمّ= غمر= ستر= ملأ.

غمّ+ر= غمر= ستر= ملأ

طمّ+ ر= غمر= ستر= ملأ

غمر+ ج= غمجر= ملأ.

طمر+ خ طمخر= ملأ.

إنّ المعنى يذهب في توسعه الصوتي نحو حصـر الدلالة أو اختصاصها بينما هو في حصره الصوتي (الثنائي وما قبله) كان يذهب نحو الوسع.

إنّنا باعتـماد الأثل ومراجعـة المعاني المتولدة بالزيادات فـيه، نصل لدائرة المعنى الوسـيعـة وبمراجعـة هذه الدائرة المتولدة بالزيـادات نصل للمعنى الدقـيق المتفـرع تخصيصاً في الأثل فمثلها كثرة الفروع في الشجرة تقودنا في نهايتها للجذع، فهي في الكلمة تقودنا للجذر.

ونحسب أنّ العلايلي في مقدمته، قد جرب مثل هذا ثم اهتدى لنتائج جدوله، فالميم يدل على الانجماع، ونعلم أن في معنى: الغمر انجماعاً مثلما في معنى الستر والمليء.



إنّ مبـدأ تحليل اللغة هنا لا ينظر كـثيراً لجـهود سابقـة، بل يفترع مـسلكاً جاء بالاستـقراء والتأمل ومقـارنة الصورة المغطاة بصورة سـابقة مألوفة مما يوعـز وكأنما اللغة بمـعانيهـا تشبـيهـات: صورة جديدة بصـورة قديمة، وهذا عندي مما يـجعل للمفردات دوائر معنى نفـترض ثباتها، ومن ثمة مراجعتهـا والاهتداء بها في تحديد المعاني، فلا نقبل ما يندّ عن (طبع) الدائرة.

إن الاعتـقاد بثبـات معنى محدود ودقـيق في الكلمات كقـيمة الأعـداد، يبدو مجـانباً للصواب فـالكلمة تحـمل داخل بنيتهـا ذرات تحفظ لنا مـعاني سابقـة لها تطورت عنهـا غالبـاً إلى ما يبـدو ثباته لحين. ونحن بتـفتـيت بنيتـها نسـتطيع أن نستخلص بعض المعـاني الموغلة في قدمها (المدلول) من علامات جـاءت بالمواضعة (الدال).

وبهـذا تكون الدلالة سابقـة على اللفظ، أو الأشـياء سـابقة على أسـمائهـا. فالألفاظ (خامة) تشكلت هي نفسها بتكوينة خاصة تحمل ذرات الأثل.

إنّ من المهم في دراسـة تطور الدلالة، النظر إلى تاريخ الألفـاظ ومقـارنة ذلك بوظيفتها المتلائمة مع نسق حياتها (الظاهر)، فالدلالة خاصة، وليس معنى تطورها اطراده (فاللغـة أقل النظم الاجتمـاعية خـضوعاً لبـادرة التطور فهي تمتزج بحـياة المجتمع والمجتمع خامل بطبـعه فهي أشد القوى محافظة)(١). ثم إن ثبات الحقيقة يتم بوضع الدال الأول إزاء المدلول الأول، هكذا يصـبح في الكلمة أكـثر من دال ومدلول، هذا قـبل تشكلها في النسق الخطابي الذي يفـتح الباب أكثـر، وتصعب القضـية بصنعة البلاغـة (المجاز)، فماعـون الدال هنا يتسع لغير المدلـول، فالمجاز (انحراف) يسير عن ثبات الحقيقة أو هو تقليد مصور لها.

(١) علم اللغة العام: دي سوسور: ٩٢.



هذا يتيح لـي أنْ أفترض أنَّ الحـقيقـة في البنية الأولى هي مـا تحمله الصـوتية الثنائية أو ما قبـلها، وهذا يفرض أن ما بعدها بداية للمجـاز وهو ما يجعل المجاز ضرورة مقـابلة للمتولد، وليس هذا افتقار اللـغة لإيجاد المعنى. إنّ هذا يذهب بنا للقول: إنّ اللغة تحمل في جوفها أرتالاً من مجاز صار حقيقة دون إشارة لهذا، أو دون أنْ نفطن لهذا.

إذا افترضنا أنّ دائرة المعنى الوسيع (أحمر) نسـتطيع أنْ نحصل بها على النتيجة التالية: حمر= (حم+ر) أو (هـ= و+ى) وهذا ما يفيدنا أنّ: (ى= هـ- و) أو (+ر= حمر - حم).

وهذا يفيد معنى شيوع الوصف الذي وجدنا في جدول العلايلي إفادة الراء له: (دائرة المعنى= المعنى بالثنائي+ معنى شيوع الوصف).

اللّون= حمر - سخن.

ونرجح أنَّ العلايلي قـد مارس ضرباً من المنطق الرمـزي حصل به على بدايات جدوله، فتجريد الزيادة يرينا الثنائي معزولاً، ومـا يتم بإضافتها هو مسلك وصفي نحو التحـديد أو التدقيق، إنّ هذا يتيـح لي أنَّ المفردات فوق الثلاثي تتـسم بثبات نسبـي في معناها، هو مـا قادنا للوصـول لدائرة المعنى، فكثرة المعـاني في الدائرة تساعدنا في استـخلاص معنى أقوى هو ما يجب ألا تتعارض المعـاني الوسيعة في الدائرة معه.

فالثنائي باعتبـاره (أساس) نستطيع بالإضافة الصوتيـة (الألفبائية) أنْ نكسب به معنى أوثق يحيط بمساحة المعنى في يسر، ذلك لاتساع صوته أو حبله.

وبعزل الإضافة أو تجـردها ثم تجريبها في أكثر من ثنائي نستطيع أنْ نحـدد قيمة الإضافة كمعني، ومن ثمة نحصل على ما حصل عليه العلايلي في مقدمته.



في جمعنا لمفردات اللون الأبيض، لفت نظرنا وجـود ألفاظ بعينها يطبق حرف القاف عليهـا مثل: اللهق، القهب، المهق، اليقق، البلق، الـبهق، اليلق، المهرق، الأمقـة... الخ وكلهـا لا تخرج عن دائرة دلالة البـياض، هنا بدا لـي أنّ حرف القاف لابد أنْ تكون له دلالة قديمة لسمة بيضاء مـحددة انتقلت منها لغيرها توسعاً في المعاني بإضافة الحروف، كسباً لتنوع المعنى.

وبمراجعـتي لجدول العـلايلي وجدت أنّ القـاف يدل على المفاجـأة التي تحدث صوتاً [1] ثُمَّ بحثت عن هذا في مضاهر الكون فتمثل لي في معنى البرق: (مفاجأة + صـوت). انظر للتقـوية كذا دلالة القـاف في برق نفـسهـا فهي لا تخـرج عن مرادنا. ثم بدا لي أن العلايلي قد فاته التنبه لمثل هذا الاكتناف، والاستفادة منه في دائرة المعنى الوسيـعة، وبدا لي أنّ دلالة البياض قـد جاءت من المعنى (برق) كنور يخطف الأبصار إذ لا نجد فيما ذكرنا من مفردات (القاف) ما يجيئها (الصوت) غير ما وجـدناه في البرق وما في البـوق، ورجح هذا عندي تعميـد معنى النور الذي يذهب للبياض، انظر: البارقة: السيوف لبياضها.

في ثنائي (برق): (بق) وجـدت مـعنى: طلع وهو معنى يـقودنا لمعنى القـذف بشدة الذي يقودنا لمعنى السرعة الذي يقودنا لمعنى الفجأة، الذي وجدناه في برق: ونعلم معنى السرعـة فيها، انظر: البراق اسم دابة الرسول الكريم ﷺ الـتي ركبها ليلة المعراج قيل لنصوع لونها وقيل لسرعة حركتها تشبيهاً بالبرق: (لون+سرعة) ثم وجدت مـعنى الصوت وهو واضح في مـثل: بقبق الرجل: كـثر كلامـه. وبقبق الكوز صوّت. ثم بدا لي للتـوثق مراجعـة الأمر في الثلاثي: (بق+). بحـثا عن رسوخ المعنيين، فوجدت مثل: البعق: شـدة الصوت، وانبعق الشيء اندرأ مفاجأة

(١) انظر تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي: ٦٤.



وأنت لا تشعر من حيث لم تحتسبه، وهو الانبعاق (صوت+ فجأة) بثق: هجم من غير أنْ يشعروا به، بثق السيل: انفجر، انظر: التلازم (الصوت+ الفجأة) معاً. وهذا يجعل معنى (باق= ظهر) يذهب للظهور فجأة، وهو ما نجده في صوت البوق (صوت + فجأة) = (دفعة منكرة).

بعد هذا أريد أن أضيف معنى أراه مطموراً وسط المعنيين وهو معنى الظهور والتلألؤ، الذي يقودنا للبياض، وهو ما وجدته في مثل: بزقت الشمس، وبصاقة القمر، والبطق: الورقة، والبهق، والبنيقة، ويشبه الصبح بالبنائق لبياضها[1] هذا إضافة لما ذكرنا من مفردات تفيد معنى البياض.

كل هذا قوى عندي كون القاف يكتنف مفردات تكون معانيها في دائرة (صوت+ فجأة + بياض). وأجد ملاءمة ما بينهما في مثال: (البرق)، وليس وجود هذه المعاني في دائرة القاف، ضرورة لازمة فقد نجد واحداً وربما اثنين. ولكنّا نعزو لتمام الدائرة معنى (الفجأة والبياض) مقرونين معاً، لمعنى الظهور، وهذا يعود بنا واثقاً لدائرة جدول العلايلي.

ثم في مجموع المعاني (المقه)[2] لا نجد إشارة (للصوت): سراب أمقه، فَيْف أمقه، وامرأة مقهاء. فالمعنى يذهب للبياض هنا ونجد مدخلاً للبياض في (الفجأة) كما ذكرنا في مثل: (النَّهار) وشدّته، ونعلم قدر ما تكتسبه الأشياء من بياض فيه، مثل الأمقه: المكان الذي اشتدّت الشمس عليه حتى كُره النظر إلى أرضه، وهذا ما يقود لمعنى القبح: الأمقه: الأبيض القبيح (يكره النظر إليه) كذا.

ونرجح أنّ حركة النهار (الشمس) وسطوعها أو وقعوها على الأشياء يجيء

(١) انظر: اللسان: ١١/ ٢٩٣-٣١٠.

(٢) اللسان: ١٧/ ٤٣٧.



فجأة لامعاً، ذلك لموقع الناظر والمنظور مثلما المرآة لا تعكس ضوء الشمس إلا بموضع محدد فيجيء (فجأة). هذا ما أجده مدخلاً مقبولاً لمعنى (الفجأة) في البياض، أو لمعنى البياض في (الفجأة) وبهذا نقبل تأسيس غلبة البياض على المعنى، وبه نجد تفسيراً مقبولاً أنّ أشهر آلهة اليمن (المقه) هو اسم إله القمر، ذلك لبياضه، ونعلم قدر إجلالهم للمتلألئ(١).

إنّنا لا نستطيع حقيقة تحليل مفردات اللغة كلها بمثلما فعلنا، ثم إنّنا إنْ استطعنا فلن نصل لنتائج واحدة متفقة ـ نعزو ذلك لاضطراب القاعدة في تطبيقها، أو عدم اطرادها، ذلك لأنّها (مواضعة) ولكنّها مع هذا جاءت مطابقة لمنهج عاقل، نفلح به في استخراج دلالات تبدو غريبة عن فحوى المفردة ودائرتها، قدر ما هي قريبة، وهي في مجملها إشارات تاريخية (صورت) المعنى وقربته للأفهام بمشهد يشابهه، لصيقاً بحياتهم البعيدة.

إنّ هذا المشهد البعيد، كان قريباً من فهمهم، بل هو (هام) يرجع إليه مثل الاعتبار والاعتقاد، وهو مألوف لدرجة أن يُشبه به والمشبه به أقوى في الصفة من المشبه كحقيقة.

إن منهج معاجم مدرسة القافية لا يساعدنا في معرفة التسلسل الصوتي ومدلوله، إلاّ إذا انبنى عملنا على فرضية زيادة (عين الكلمة) أو (فاء الكلمة) وهو أمر محتمل كذا، إذ هي تبتدئ بما وقف عنده التسلسل، وبذلك لا يعول عليها في المنحى التاريخي كثيراً.

لكنّا في الألفبائية نبتدئ بما يوافق التسلسل أو يقاربه، فالباب مفتوح لهذا، فنسق التسلسل هو نسق التداول أو التاريخ (١+٢=٣).

في (معجم) مدرسة القافية: الراء (ارتكاز) نلم بالتطورات في باب الراء فصل



الحاء، بتجريب بدائل الميم، وما يتفق هو معنى الدائرة.

للتأكد نقارن معنى الدائرة في الثلاثي مع معنى دائرة الثنائي: (حمر =حر) وهنا نجد الاتفاق الذي وجدناه في (حمّ)+ سخن.

ونراجع البدائل: (ح(+)ر)+ حبر، حجر، حدر، حذر، حزر، حرر، حسر، حشر، حصر، حضر، حظر، حفر، حفر، حور، حير.

لانجد ما رمناه، إلا قليلاً لا يرضى اتفاق الدائرة وبإجهاد.

في الألفبائية (الارتكاز)= (ح+م) ثم (+ البدائل الألفبائية)= معنى الدائرة: حمأ، حمد، حمر، حمز[1] حمس، حمش، حمل، حمم، حمى.

إنَّ معنى الدائرة (عموماً) متفق، ولا نخرج عنها إلا بمعنى: حمد حمل. وقد تم ذلك دون إجهاد. هذا يؤشر أن الأثل في (حمر) هو (حم) وليس (حرّ). إننا بمثل هذا يمكننا معرفة تطور الدلالة، وعندي أن هذا النهج أكثر يقيناً من دائرة الاشتقاق الكبير: حمر، حرم، محر، مرح، رحم، رمح.

نحن هنا لا نجد دائرة المعنى الوسيعة إلا بمماحكة لا نرضاها، وهي متنافرة لهذا. ثم إننا نحصل على الثنائي بيسر يدفعنا باتساق المعنى أو تساوقه لثلاثيه.

إن من نمط (المماحكة) ما ذهب إليه الدكتور فايز الداية في تحليله لدلالة المفردة (السور) قال: السور: جمع سورة وكأنها والله أعلم سميت سورة لارتفاع قدرها لأنها كلام الله تعالى، وفيها معرفة الحلال والحرام، ومنه قيل: رجل سوار: أي معربد، وإنما قيل له سوار لأنه يغلو في فعله ويشتط، ومنه قيل: السورة: لأنها ترفع من يتلوها، ومنه قيل: سور المدينة لأنه بناء مرتفع، ويجوز أن يكون سوار المرأة من هذا لارتفاع قدره، والسورة: الشرف وارتفاع الذكر...

(١) انظر: العقلية الصوفية ونفسانية التصرف: ١٧٦.

الدلالة الحسية السابقة هي المتعلقة بالسور المحيط بالمدينة والمتميز بالعلو ومن ثم أطلقت تسميات فرعية عديدة مستمدة منها: السوار، إلى أن بلغت المجال الذهني: القيمة الرفيعة والتشريف في السورة القرآنية والمرتبة عامة.(١) إن في هذا إجهاد المفردة وإخضاعاً لمعناها، كيما يناسب ما يذهب إليه الدكتور. وهو أمر غير مقبول ذلك أنه انبنى على خطأ، هو جعل معنى الارتفاع هو الأصل في (السور)، فسورة القرآن: لارتفاع قدرها أو لأنها ترفع من يتلوها. والسور: المعربد لأنه يغلو ويشتط. وسور المدينة لارتفاعه. ثم سوار المرأة لارتفاع قدره كذا، وهو أمر جد طريف. إن ما نذهب إليه وما نبني عليه تحليلنا هو وجود معنى الستر في السور، ولا إخال شططاً إن جعلت سورة القرآن ذلك لوقايتها وحمايتها (سترها) للمؤمن، أو هي من معنى: إحاطتها، وفي الإحاطة ستر: أحاطك الله بعنايته، ولمثل هذا يذهب الدين ثم ما نجده في سوار المعصم فهو لإحاطته به، لا لارتفاعه عنه الذي لا نجده.

إننا بالمراجعة الثنائية لمادة (سور) نذهب لتجريد (الواو) مباشرة ما دامت من حروف العلة (سر) ونعلم قدر ما في السر من كتمان. ونعلم ما في الكتمان من إحاطة وحبس: كتم أنفاسه: حبسها.

فالسر في حصن أو داخل (سور) يمنع (الجهر) به (سور= حائط). في دائرة ثلاثي الثنائي (سر) نرى اكتناف معنى الحجب للمفردات:

سور، ستر، سكر، سبر، سفر، سير، سهر.

فهي معاني نجد الاحتجاب فيها ميسوراً، ما عدا (سهر)، فهي تحتاج لمراجعة التحليل، نرى أن (سهر): احتجاب عن (مألوف) النوم في وقت مألوف النوم.

(١) حمز: اشتدّ وصار متيناً. وهو معنى يجد صفته بالنار.



الليل. ولذا نحن لا نقول: سهرت نهاراً.

ففي هذا تخصيص لها بزمن الليل (حجاب) وهو ما يجعلها داخل الدائرة.

انظر الافتراض: نار: نور= نهار= بياض.

سر: سور+ سهر+ سواد

ثم إننا نجد مخرجاً لمعنى رجل سوار: معربد: بمعنى خروجه عن دائرة السور: الحدّ، وكأنه تسور الساتر (الحدود).

ثم نجد مخرجاً لمعنى السورة: لأنها تقي عن المحرمات: تحجب وتستر. ولمعنى: السور: البناء: لحجبه من بداخله وستره له. ومجيء معنى الارتفاع ليس ضرورة، ولكنه لتمام الستر.

ثم نجد مخرجاً لمعنى الشرف: لاحتجاب صاحبه عن الصغار والعيوب. وهو ما يؤرث ارتفاع الذكر.

أمّا معنى السوار فهو من معنى الإحاطة اللازم في تمام الستر. وليس بالضرورة أنْ يكون السوار رفيع القدر كما ذهب الدكتور فقد يكون من حديد أو من خشب. فالساتر هو ما يحميك أو يحيطك= (حائط) وما يحميه هو (السر). ثم فوق هذا، فنحن لا نعرف سبباً يمنع مجيء المعنى المناسب كالرفعة: (الرفيع) من مادة (سور) ما دامت تعني (الارتفاع). هذا ما يفترض وجوده لو وافقنا على ما ذهب إليه تحليل الدكتور.

إننا في بحثنا عن الدلالة نتوخى كل السبل التي تقودنا لدائرة المعنى الوسيعة، ثم نتريث هنا في بحثنا، إذ تتشابه المعاني أو تتشابك.. ومهمة التحليل هنا هي فك هذا الاشتباك= (حل = فك).

(١) الجوانب الدلالية: ٢٧٠.



إننا وفي أثناء تحليلنا لمفردات اللون ندرك بيسر ذلك المنحى المنطقي الذي تتساوق معانيه في عقلانية، فكلما وجدنا هذا تكشفت لنا علاقات المعنى المنطقية الدقيقة التي تدفعنا لوصف ذلك العقل بالعبقرية. ثم من الظلم عندي وصف اللغة العربية بأنها ليست لغة فكر، فهذا الزعم باطل. وقد وجد قبولاً عند الدراسين، وذلك نهجهم الغربي الذي اتبعوه، وهكذا صرنا تابعين نستورد الفكرة ولانصنعها. فمسلك النهج الذي قد يفلح في لغة ربما لا يثمر في غيرها.

لقد ذهب الأب مرمرجي الدومينيكي إلى عدم منطقية العقل العربي، لعدم منطقية المعجم العربي[(١)] وقد فاته أنّ هذا الرأي ناجم من فساد وسيلة المناهج في المعاجم، فهي لم تتطور. ونعترف بعدم اهتمامها بالمنحى التحليلي للدلالة. ذلك لأنّ شغلها الشاغل كان حركة جمع فحسب.

* * *

(١) انظر هل العربية منطقية: ٤.

